الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب وما اسم لا يفهم الا باستتمام

كلمتين او الاقتصار منه على حرفين وفي وضعه الاول التزام وفي الثاني الزام وما

وصف اذا اردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون

وتعرض للهون فهذه ثنتا عشرة مسألة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم زدنا

وان عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من احاجيه اللاتي هالت لما

انهالت ما حارت له الافكار وحالت فلما اعجزنا العوم في بحره واستسلمت تمائمنا

لسحره عدلنا من استثقال الروية له الى استنزال الرواية عنه ومن بغي التبرم به

الى ابتغاء التعلم منه فقال والذي نزل النحو في الكلام منزلة الملح في الطعام لا انلتكم مراما

ولا شفيت لكم غراما او تخولني كل يد وتختصني كل منكم بيد فلم يبق في الجماعة الا من

اذعن لحكمه ونبذ اليه خباءة كمه فكشف حينئذ من اسرار الغازه وبدائع اعجازه ما

جلا به صداء الاذهان وجلى مطالعه بنور البرهان قال الراوي فهمنا حين فهمنا

بعجبنا

وحيينا اذ اجبنا وندمنا على ما اندمنا فاخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس

ونعرض عليه ان تصطبح الكاس فقال الخارب لا حفاوة وشرب لم يبق له عندي

حلاوة ثم شمخ بانفه صلفا ونأى بجانبه انفا وانشد

نهاني الشيب عما فيه افراحي ... فكيف اجمع بين الراح والراح

وهل يجوز اصطباحي من معتقة ... وقد انار مشيب الراس اصباحي

آليت لا خامرتني الخمر ما علقت ... روحي بجسمي والفاظي بافصاح

ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد ... ولا اجلت قداحي بين اقداح

ولا صرفت الى صرف مشعشعة ... همي ولا ارتحت مرتاحا الى راح

ولا نظمت على مشمولة ابدا ... شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي

محا المشيب مراحي حين خط على ... راسي فابغض به من كاتب ماح

ولاح يلحى على جري العنان الى ... ملهى فسحقا له من لائح لاح

ولو لهوت وفودي شايب لحبا   بين المصابيح من غسان مصباحي

قوم سجاياهم توقير ضيفهم   والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم انه انساب انسياب الايم واجفل اجفال الغيم فعلمت انه سراج سروج
وبدر الادب الذي يجتاب البروج وكان قصارانا التحرق لبعده والتفرق من بعده

تفسير ما اودع هذه المقامة من النكت العربية والاحاجي النحوية اما
صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان وصلا الذ به فوصل فانه من
قولهم المرء مجزي بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وهذه المسئلة اودعها سيبويه
كتابه وجوز في اعرابها اربعة اوجه احدها وهو اجودها ان تنصب خيرا
الاول وترفع الثاني وتنصب شرا الاول وترفع الثاني فيكون تقديره ان كان عمله خيرا
فجزاؤه خير وان كان عمله شرا فجزاؤه شر فينتصب الاول على انه خبر كان و
يرتفع الثاني على انه خبر مبتدا محذوف وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها
لدلالة حرف الشرط الذي هو ان على تقديرها وحذفت ايضا المبتدا لدلالة الفاء
التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدها والوجه الثاني ان تنصبهما
جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان كان عمله شرا
فهو يجزى شرا فتنصب الاول على انه خبر كان وتنصب الثاني انتصاب المفعول به
والوجه الثالث ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فجزاؤه

خبر فيرتفع خبر الاول على انه اسم كان ويرتفع خبر الثاني على ما بيّن في شرح الوجه الاول
والوجه الرابع وهو اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث
وتنصب الثاني على ما بيّن ذكره في الوجه الثاني ويكون تقدير الكلام ان كان في
عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات فيه
يجري اعراب البيت الذي غني به ومما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به
ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر واما الكلمة التي هي حرف محبوب او اسم لما
فيه حرف حلوب فهي نعم ان اردت بها تصديق الاخبار او العدة عند السؤال
فهي حرف وان عنيت بها الابل فهي اسم والنعم تذكر وتؤنث وتنطلق على الابل وعلى كل
ماشية فيها ابل وفي الابل الحرف وهي الناقة الضامر سميت حرفا تشبيها لها بحرف
السيف وقيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل واما الاسم المتردد بين فرد
جازم وجمع ملازم فهو سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا
القول هو فرد وكني به عن ضمه الخصر بانه جازم وقال الاخرون هو جمع وواحده
سروال ومثل شملال وشماليل فعلى هذا القول هو جمع ومعنى قولنا ملازم اي لا ينصرف
وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه الف بعدها حرف مشدد
او حرفان او ثلاثة لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بانه لا نظير له في
الاسماء الآحاد وقد كني في هذه الاحجية عما لا ينصرف بالملازم واما الهاء

التي اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل فهي الهاء اللاحقة بالجمع المتقدم
ذكره صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به لانها قد
اصارته الى مثال الاحاد نحو رفاهية وكراهية فخفف بهذا السبب وصرف
لهذه العلة وقد كنى في هذه الاحجية عما لا يصرف بالمعتقل كما كنى في التي قبلها
عما لا ينصرف بالملازم واما السين التي تعزل العامل من غير ان تجامل فهي السين
اذا دخلت على الفعل المستقبل فصلت بينه وبين ان التي كانت قبل دخولها
من ادوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل ان عن كونها الناصبة للفعل
الى ان تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعـ علم ان سيكون منكم مرضى
وتقديره علم ان سيكون منكم واما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى
حرف فهو عند ولا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت الى عنده لحن
واما المضاف الذي اخل من عرى الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء
وغدوة فهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة وكلما ياتي بعدها مجرور
بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم اياها في الكلام ثم نونتها ايضا
ليتبين بذلك انها منصوبة لانها من نوع المجرورات التي لا تنصرف وعند بعض النحويين
ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند يشتمل معناها على ما هو
في ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وما قرب منك

واذ

وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها أي
وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في الاسم المنادى سيان وإن كانت يا أجول في الكلام
وأكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادى بأي القريب فقط كالهمزة وأما
العامل الذي نائبه أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا فهو باء القسم
وهذه الباء هي أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك أقسم
بالله ولدخولها أيضا على المضمر كقولك بك لأفعلن ثم قد أبدلت الواو منها في
القسم لأنهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لأن الواو تفيد
الجمع والباء تفيد الإلصاق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من
الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام ولهذا ألغز بأنها أكثر لله تعالى ذكرا ثم أن
الواو أكثر موطنا من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو
تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة بإضمار رب وتنتظم أيضا
مع نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر وأما
الموطن الذي يلتبس فيه الذكران بذوات النسوان وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم
الرجال فهو أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فإنه
يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع
ليال وثمانية أيام والهاء في غير هذا الموطن من خصائص التأنيث كقولك قائم

وقايمةٌ وعالمٌ وعالمةٌ فقد رأيتَ كيف انعكس في هذا الموطن حكمُ المذكر والمؤنث
حتى انقلب كلٌّ منهما الى غير قالبه وبرز في بزّة صاحبه واما الموضع الذي يجب
فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول
لتعذّر ظهور علامة الاعراب فيهما او في احدهما وذلك اذا كانا مقصورين مثال موسى
وعيسى او من اسماء الاشارة نحو ذاك وهذا فيجب لازالة اللبس اقرار كل
واحد منهما على رتبته ليُعرف الفاعل منهما بتقدّمه والمفعول بتاخّره واما
الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين فهو مهما
وفيها قولان احدهما انها مركبة من مه التي بمعنى اكفف ومن ما والقول الثاني
وهو الصحيح ان الاصل فيها ما فزيدت عليها ما اخرى كما تزاد ما على ان فصار
لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فابدلوا من الف الاولى هاء
فصارت مهما ومهما من ادوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا
عقل المعنى الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل وتكون حينئذ ملتزما
للفعل وان اقتصرت منها على حرفين وهما مه بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملزما
من خاطبته ان يكف واما الوصف الذي اذا رُدف بالنون نقص صاحبه في
العيون وقوّم بالدون وخرج من الزبون وتعرّض للهون فهو ضيف اذا الحقته
النون استحال الى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف ويتنزّل في النقص منزلة الزيف

المقامة ٢٥

المقامة الخامسة والعشرون الكرجية

حدث الحرث بن همام قال شتوت بالكرج لدين اقتضيه وأرب اقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها الناقح ما عرفني جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء فلم أكن أزايل وجاري ومشتو قراري الا لضرورة ادفع اليها او اقامة جماعة احافظ عليها فاضطررت في يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر الى ان برزت من كناني لمهم عناني فاذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة وقد اعتم بريطة واستثفر بفويطة وحواليه جمع الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري ... أصدق من عريي أوان القر ... فاعتبروا بما بدا من ضري

باطن حالي وخفي أمري ... وحاذروا انقلاب سلم الدهر ... فانني كنت نبيه القدر

آوي الى وفر وحد يفري ... تفيد صفري وتبيد سمري ... وتشتكي كومي غداة أقري

فجرد الدهر سيوف الغدر ... وشن غارات الرزايا الغبر ... ولم يزل يسحتني ويبري

حتى عفت داري وغاض دَرّي وباء شعري في الورى وسعري وصرت نضو فاقة وعُسر

عاري المطا مجرّدًا من قشري كأنني المغزل في التعرّي لا دفء لي في الخصر والصنبر

غير التضحّي واصطلاء الجمر فهل خضمّ ذو رداء غمر يسترني بمطرف أو طمر

طِلابَ وجه الله لا للشكر ثم قال يا أرباب الثراء الرافلين في الفراء من

أوتي خيرًا فلينفق ومن استطاع أن يرفق فليرفق فإن الدنيا غرور والدهر عثور

والمكنة زورة طيف والفرصة مزنة صيف وإني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته

وأعددت الأهب له قبل موافاته وها أنا اليوم يا سادتي ساعدي وسادتي وجلدتي

بردتي وحفنتي جفنتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف الليالي فإن السعيد

من اتعظ بسواه واستعد لمسراه فقيل له قد جلوت علينا أدبك فاجل لنا نسبك

فقال تبًّا لمفتخر بعظم نخر إنما الفخر بالتقى والأدب المنتقى ثم أنشد

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلّى يومه لا ابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وانما	فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم انه جلس محقوقفا واجرنثم مقفقفا وقال اللهم يا من غمر بنواله وامر بسؤاله صل
على محمد واله واعذنا من البرد واهواله واتح لي حرا يؤثر من خصاصة ويواسي ولو بقصاصة
قال الراوي فلما جلى عن النفس العصامية والملح الاصمعية جعلت عيني نعجمه ومرامي
لحظي ترجمه حتى استبنت انه ابو زيد وان تعريه احبولة لصيد ولمح هواني عرفاني قد
ادركه ولم يامن ان يهتكه فقال اقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر انه لن يستر في اليوم الا
من طاب خيمه واشرب ماء المروة اديمه فعقلت ما عناه وان لم يدر القوم معناه و
شاقني ما يعانيه من الرعدة وافتشعرار الجلدة فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي وبالليل فراشي
فنضوتها عني وقلت له اقبلها مني فما كذب ان افتراها وعيني تراها ثم انشد

لله من البسني فروة	اضحت من الرعدة لي جنة
البسنيها واقيا مهجتي	وقي شر الانس والجنة
سيكتسي اليوم ثنائي وفي	غد سيكسى سندس الجنة

صح

قال فلما افتتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة ألقوا عليه من الفراء المغشاة و
الجباب الموشاة ما آده ثقله ولم يكد يقله فانطلق مستبشرا بالفرج مستشفيا
للكرج وتبعته إلى حيث ارتفعت التقية وبدت السماء نقية فقلت له لشد ما
قرسك البرد فلا تتعر من بعد فقال ويك ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل بلوم
هو ظلم ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي نور الشيبة وطيب تربة طيبة لو لم
أتعر لرحت بالخيبة وصفر العيبة ثم نزع إلى الفرار وتبرقع بالاكفهرار وقال أما تعلم
أن شنشنتي الانتقال من صبير إلى صبير والانعطاف من عمرو إلى زيد وأراك قد عققتني
وعقّقتني وأفتيتني أضعاف ما أفدتني فاعفني عافاك الله من لغوك واسدد دوني
باب حذرك ولهوك فجبذته جبذ الثعالبة وجمجمت به للدعابة وقلت
له والله لو لم أوارك وأغط على عوارك لما وصلت إلى الحصلة ولا انقلبت أكسى من
بصلة فجازني عن إحساني إليك وستري لك وعليك بأن تسمح لي ببرد الفروة أو

تعرفني

تعرفني كافات الشتوة فنظر الي نظر المتعجب وانتهرني انتهار المتغضب ثم قال اما

رد الفروة فابعد من رد امس الدابر والميت الغابر واما كافات الشتوة فسبحان

من طبع على ذهنك واوهى وعاء خزنك حتى انسيت ما انشدتك بالدسكرة لابن سكرة

جاء الشتاء وعندي من حوائجه ... سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا ... بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ثم قال الجواب يشفي خير من جلباب يدفي فاكتف بما وعيت وانكف من حيث

اتيت ففارقته وقد ذهبت فروتي لشقوتي وحصلت على الرعدة طول الشتوة

المقامة السادسة والعشرون الاهوازية وتعرف بالرقطاء

حدث الحرث بن همام قال حللت سوق الاهواز لابسا حلة الاعواز فلبثت فيها مدة

اكابد شدة وازجي اياما مسودة الى ان رايت تمادي المقام من عوادي الانتقام فرمقتها

بعين القالي وفارقتها مفارقة الطلل البالي وظعنت عن وشلها كيس الازار راكضا

حروف كلماتها منها معجمة ثم لمن تاملها في الشطر الاول وردا
فان علي حال آخر الاثنا او في آخر الحرف الالفين ولسانا

الا المياه الغزار حتى إذا سرت منها مرحلتين وبعدت سرو ليلتين تراءت لي

خيمة مضروبة ونار مشبوبة فقلت إليهما لعلي أنقع صدى أو أجد على النار

هدى فلما انتهيت إلى ظل الخيمة رأيت غلمة روقة وشارة مرموقة وشيخا عليه

بزة سنية ولديه فاكهة جنية فحييته تحية ثم تحاميته فضحك إلي ثم أحسن

الرد علي وقال ألا تجلس إلى من تروق فاكهته وتشوق مفاكهته فجلست لاغتنام

محاضرته لا لالتهام ما بحضرته فحين سفر عن آدابه وكشر عن أنيابه عرفت أنه

أبو زيد بحسن ملحه وقبح قلحه فتعارفنا حينئذ وحقت لي فرحتان ساعتئذ

ولم أدر بأيهما أنا أصفى فرحا وأوفى مرحا أبإسفاره من دجنة أسفاره أم بخصب

حاله بعد إمحاله وتاقت نفسي إلى أن أفض ختم سره وأبطن داعية يسره فقلت

له من أين إيابك وإلى أين انسيابك وبم امتلأت عيابك فقال أما المقدم فمن

طوس وأما المقصد فإلى السوس وأما الحجرة التي أصبتها فمن رسالة اقتضبتها فإنه

أن

أن يفرّج عني خلّته ويسرد على رسالته فقال دون مرامك حرب البسوس إذ تصحبني إلى

الثوير فصاحبته إليها قهرًا وعكفت بها عليه شهرًا وهو يعلّلني بكلمات التعليل

ويجرّعني غصّة التأميل حتى إذا أحرج صدري وعيل صبري قلت له إنه لم يبق لك

علّة ولا لي تعلّة وفي غدٍ أزجر غراب البين وأرحل عنك بخفي حنين فقال حاشا لله

أن أخلفك أو أخالفك وما أرجأت أن أحدّثك إلا لأليّنك وإذ كنت قد

استريثت بعدتي وأغراك ظن السوء بما عدتي فأصخ لقصص سيرتي المختارة و

أضفها إلى أخبار الفرج بعد الشدة فقلت هات فما أطول طيّك وأهول حيّك فقال

اعلم أن الدهر العبوس ألقاني إلى طوس وأنا يومئذ فقير وقير لا فتيل لي ولا نقير فألجأني

صفر اليدين إلى التطوّق بالدين فادّنت لسوء الاتفاق ممن هو عسر الأخلاق

وترهقت تنوّق النفاق فتوسعت في الإنفاق فما أفقت حتى بهظني دين لزمني

حقّه ولازمني مستحقّه فحرت في أمري وأطلعت غريمي على عسري فلم يصدّق إملاقي

١

ولا نزع عن ارهاقي بلا جرم في التقاضي وتحيل في اقتيادي الى القاضي وكلما خضعت

له بالكلام واستنزلته برقى الكرام ورغبته في ان ينظرني الى ميسرة او ينظر في

الى ميسرة فما انقطع في الانظار واحتجان الانتصار فوحقك ما ترى مسالك

الخلاص او تريني سبائك الخلاص فلما رايت احتداد لدده والا مناص لي من يده

شاغبته ثم واثبته ليرافعني الى والي الجرائم لا الى الحاكم في المظالم لما كان بلغني من

افضال الوالي وفضله وتشدد القاضي وبخله فلما حضرنا باب امير طوس انست

ان لا باس ولا بوس فاستدعيت دواة وبيضاء وانشأت اليه رسالة رقطاء وهي

اخلاق سيدنا تحب وبعقوته يلب وقربه تحف ونأيه تلف وخلته نسب

وقطيعته نصب وغربه ذلق وشيمته تألق وظلفه زان وقويم نهجه بان

وذهنه قلب وجرب ونعته شرق وغرب سيد قلب بر وقمر فطن مغرب عزوف عيوف

مخالف متلف اغر فريد نابه فاضل ذكي انوف مقلوه ابان طب اذا ناب هياج وجل

خطب مخوف

هناظم

مناظم شرفه تأتلف وشؤبوب حبائه يكف ونائل يديه فاض وشح قلبه غاض

وخلف سخائه يحتلب وذهب حبائه يغترب من لف لفه فلج وغلب وقامر

بآبه جلب وخلب كف عن هضم بري وبرئ من دنس غوي وقرن ليانه بعز

ونكب عن مذهب كز ليس بوثاب عند نفرة شر بل يعف عفة بر

فلذا يحب ويستحق عفافه شغفا به فلبابه خلاب

أخلاقه غر ترق وفوقه فوق إذا ناضلته غلاب

بحج يهش وذو تلاف إن هفا خل فليس بحقه يرتاب

لا باخل بل باذل خرق إذا يعتر مرز لا يليه ياب

إن عمر أزل فل غرب عصا صنه بمنابه فانحت منه ناب

وجدير بمن لب وفطن وقرب وشطن أن أذعن لقريع زمن وجابر زمن

من رضع ثدي لبانه حضن بأفاضته تهتانه نعش وفرح وصان أقر فأبهج وتافر

فاز نجح وفاء بحق ابلج اتعب من سيلي وقرظ اذ هز وبلي

وتوج صفاته بحب عفاته فلا خلا ذا بهجة يمتد ظل خصبه

فانه يرب من انس ضوء شهبه زان مزايا ظرفه بلبس خوف ربه

فليهن سيدنا فوزه بمفاخر تاثلت وجلت وفوزه بصنايع نمت ونمت و

بلايم قرب حضرته غوث رقه بحظ من حظوته فانه تليد ندب وشريد

جدب وجريح نوب اثرت وناظم قلايد تسيرت اذا جاش لخطبة فلا يوجد

قايل ثم قس ثم باقل فان حبر قلت حبر نمقت وحلت رياضا قد نمت هذا

ثم شربه برض وقوته قرض وفلقة غسق وجلبابه خلق وقد قال لتوقي

غريم غاشم يستحثه بحول لازم فان من سيدنا بكفه بهبات كفه توشح بحمد

فاق وباء باجر فكمن وثاق لاخلت سجايا خلقه ترف شايم برقه بيمن ترب ازرى بحي

قال فلما استشف الامير لالاها ولمح السر المودع فيها اوعز في الحال بقضاء دينه

وفصل ما بين خصمي وبيني ثم استخلصني لمكاثرته واستخصني بأثرته

فلبثت بضع سنين أنعم في ضيافته وأرتع في ريف رأفته حتى إذا

غمرتني مواهبه وأطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال على ما ترى من حسن

الحال قال الحارث بن همام فقلت له شكرا لمن أتاح لك لقيان السمح الكريم و

أنقذك من ضغطة الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من

الخصم الألد ثم قال أي ما أحب إليك أن أحذيك من العطاء أو أتحفك

بالرسالة الرقطاء قلت إملاء الرسالة أحب إلي فقال وهو وحقك أخف

علي فإن نحلة ما يلج في الآذان أهون من نحلة ما يخرج من الأردان ثم كأنه

أنف واستحيى فجمع لي بين الرسالة والحذيا ففرقت منه بسهمين وفصلت

عنه بغنمين وأبت إلى وطني قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون البدوية

حكى الحرث بن همام قال ملت في ريق زماني الذي غبر الى مجاورة اهل الوبر لآخذ
اخذ نفوسهم الابية والسنتهم العربية فشمرت تشمير من لا يالو جهدا وجعلت
اضرب في الارض غورا ونجدا الى ان اقتنيت هجمة من الراغية وثلة من الثاغية
ثم اويت الى عرب ارداف اقيال وابناء اقوال فاوطنوني امنع جناب وفلوا
عني حد كل ناب فما تاويني عندهم هم ولا قرع صفاتي سهم الى ان اضللت في ليلة
منيرة البدر لقحة غزيرة الدر فلم اطب نفسا بالغاء طلبها والقاء حبلها على
غاربها فامتطيت فرسا محضارا واعتقلت لدنا خطارا واسريت ليلتي جمعاء
اجوب البيداء واقتري كل شجراء ومرداء الى ان نشر الصبح راياته وحيعل الداعي
الى صلاته فنزلت عن متن الركوبة لاداء المكتوبة ثم جلت في صهوتها وفررت
عن شحوتها وسرت لا ارى اثرا الا قفوته ولا نشزا الا علوته ولا واديا الا اجتزعته

ولا

ولا راكباً إلا استطلعته وجرى مع ذلك يذهب هدراً ولا يجد وِرده صدراً إلى

أن حانت صكة عُمَيّ ولفح هجير يُذهل غيلان عن مَيّ وكان يوماً أطول من ظل

القناة وأحرّ من دمع المِقلاة فأيقنت أني إن لم أستكنّ من الوقدة وأستجمّ

بالرقدة أدنفني اللغوب وعلقت بي شعوب فعجت إلى سرحة كثيفة الأغصان

وريقة الأفنان لأغور تحتها إلى المغيربان فوالله ما استروح نفسي ولا استراح

فرسي حتى نظرت إلى سانح في هيئة سائح وهو ينتجع نجعتي ويشتدّ إلى هيعتي فكرهت

انعياجه إلى معاجي واستعذت بالله من شر كل مفاجي ثم ترجّيت أن يتصدّى

منشداً أو يتبدّى مرشداً فلما اقترب من سرحتي وكاد يحلّ بساحتي ألفيته شيخنا

السروجي متّشحاً بجرابه ومضطغناً أهبة تجوابه فأنساني إذ ورد وأنساني ما

شرد ثم استوضحته من أين أثره وكيف عجره وبجره فأنشد بديهاً ولم يتفل الهيا

قل لمستطلع دخيلة أمري لك عندي كرامة وعزازه

أنا ما بين جوب أرض فأرض   وسرى في مفازة فمفازة

زادي الصيد والمطية نعلي   وجهازي الجراب والعكازة

فإذا ما هبطت مصراً فبيتي   غرفة الخان والنديم جرازة

ليس لي ما أساء إن فات أو   أحزن إن حاول الزمان ابتزازه

غير أني أبيت خلواً من الهم   ونفسي عن الأسى منحازة

أرقد الليل ملء جفني وقلبي   بارد من حرارة وحزازة

ما أبالي من أي كأس تفوقت   ولا ما حلاوة من مرازة

لا ولا أستجيز أن أجعل الذل   مجازاً إلى تسني إجازة

وإذا مطلب كساحلة العار   فبعداً لمن يروم نجازه

ومتى اهتز للدناءة نكس   عاف طبعي طباعه واهتزازه

فالمنايا ولا الدنايا وخير   من ركوب الخنا ركوب الجنازة

ثمّ رفع إليّ طرفه وقال الأمرُ ما جدعَ قصيرٌ أنفه فأخبرته خبر ناقتي الشاردة وما
عاينته في يومي والبارحة فقال دعِ الالتفات إلى ما فات والطِّماح إلى ما طاح ولا
تأسَ على ما ذهب ولو أنّه وادٍ من ذهبٍ ولا تستمِلْ من مال عنْ ريحك واضرِمْ نارَ
تباريحك ولو كان ابنَ بوحك أو شقيقَ روحك ثمّ قال هل لك أن نقيلَ ونتحامى
القالَ والقيلَ فإنّ الأبدانَ أنضاءُ تعبٍ والهاجرةَ ذاتُ لهبٍ ولن يصقلَ الخواطرَ
وينشّطَ الفاترَ كقائلةِ الهواجرِ وخصوصاً في شهري ناجرٍ فقلتُ ذاك إليك
وما أُريدُ أن أشقَّ عليك فافترشَ التُّربَ واضطجعَ وأظهرَ أنّه قد هجعَ وارتفقتُ
على أن أحرسَ ولا أنعسَ فأخذتني السِّنةُ لما زمّتِ الألسنةُ فلم أفِقْ إلّا والليلُ قد
تولّجَ والنجمُ قد تبلّجَ ولا السَّروجيُّ ولا المُسرَجُ فبتُّ بليلةٍ نابغيّةٍ وأحزانٍ يعقو بيّة
أُساورُ الوُجومَ وأُساهرُ النجومَ أفكّرُ تارةً في رحلتي وأُخرى في رجعتي إلى أن وضحَ
لي عند افترارِ ثغرِ الضوءِ في وجهِ الجوِّ راكبٌ يخدُّ في الدوِّ فألمعتُ إليه بثوبي

ورجوت أن يعرج إلى صوتي فلم يعبأ بالداعي ولا أوى للتابع بل سار على هينته

وأصماني بسهم إهانته فأوفضت إليه لأستردفه وأحتمل تغطرفه فلما أدركته

بعد الأين وأجلت فيه مسرح العين وجدت ناقتي مطيته وضالتي لقطته

فما كذبت أن أذريته عن سنامها وجاذبته على طرف زمامها وقلت أنا

صاحبها ومضلها ولي رسلها ونسلها فلا تكن كأشعب فتتعب وتتعب

فأخذ يلدغ ويصي وينفح ولا يستحي وبينا هو ينزو ويلين ويتناسر ويستكين

غشينا أبو زيد لابسا جلد النمر هاجما هجوم السيل المنهمر فخفت أن يكون

يومه كأمسه وغده مثل شمسه فألحق بالقارظين وأصير خبرا بعد عين

فلم أر إلا أن أذكره العهود المنسية والفعلة الأسية وناشدته الله أوافي

اليوم للتلافي أم لما فيه التلافي فقال معاذ الله أن أجهز على مكلومي أو أصل

حروري بسمومي بل وافيتك لأخبر كنه حالك وأكون يمينا لشمالك فسكن

عند ذلك جأشي وانجاب استيحاشي واطلعته طالع اللقحة وتبرقع صاحبي

باللقحة فنظر اليه نظرة ليث العرينة الى الفريسة ثم اسرع قبله الترفع واقسم

له بمن انار الصبح لبين لم ينج منجا الذباب ويرض من الغنيمة بالاياب ليوردن

سنانه وريده وليخضبن به وليده ووديده فنبذ زمام الناقة وحاص وافلت

وله حصاص فقال لي ابو زيد تسلمها وتسنمها فانها احدى الحسنيين ووليها هو من

قال الحارث بن همام فخرت بين لوم ابي زيد وشكره وزنة نفعه بضره فكانه توجس

بذات صدري او تكهن ما خامر سري فقابلني بوجه طليق وانشد بلسان ذليق

يا اخي الحامل ضيمي دون اخواني وقومي ان يكن ساءك امسي فلقد سرك يومي

فاغتفر ذاك لهذا واطرح شكري ولومي ثم قال انا نبيّ وانت ميّت فكيف

نتفق ووليّ يفري اديم الارض ويركض طرفه ايما ركض فما عدوت ان اقتعدت

مطيتي وعدت لطيتي بعد حتى وصلت الى حلتي بعد اللتيا والتي

تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية قوله
ريّق زماني يعني أوله ورايقه وقد يتشدد فيقال ريّق وقوله اخذ اخذ نفوسهم
يعني اقتدى بهم يقال منه اخذ اخذه واخذه بكسر الهمزة وفتحها والهجمة
المائة نحو من الإبل والثلة القطيع من الغنم والراغية الإبل والثاغية
الشاة وما له راغية ولا ثاغية أي لا ناقة ولا شاة وقوله أرداف أقيال أي
يخلفون الملوك إذا غابوا وقوله أبناء أقوال أي فصحاء يقال للمنطيق إنه ابن
أقوال وقوله فتزرت فرسا محضارا التزر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار
والمحضير الشديد العدو مأخوذ من الحضر وهو العدو وقوله اقترى كل شجراء
ومرداء الاقتراء تتبع الأرض والشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات
ومنه اشتقاق الأمرد لخلو وجهه من الشعر وقوله حيعل الداعي إلى صلاته
يعني به قول المؤذن حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر
الهيللة والحولقة والحوقلة والبسملة والحسبلة والسبحلة والحمدلة و
والجعفلة فالهيللة حكاية قول لا إله إلا الله والحولقة حكاية قول لا حول ولا
قوة إلا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبنا
الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والجعفلة
حكاية قول جعلت فداك وقوله فنزلت عن متن الركوبة يعني المركوبة يقال

ناقة

والصَّهْوَة ناقةٌ رَكُوبٌ ورَكُوبَةٌ وحَلُوبٌ وحَلُوبَةٌ وقد قُرِئَ فَمِنْهَا رَكُوبُهُم ورَكُوبَتُهُم
مَقْعَد الفارس والشَّحْوَة الخَطْوَة والجَزْع قطع الوادي عَرْضًا وقوله بصَكَّة عُمَيٍّ يعني
قائم الظهيرة وقد اختُلِفَ في أصله فقيل كان عُمَيٌّ رجلًا مِغْوارًا فغزا قومًا عند
قائم الظهيرة وصَكَّهُم صَكَّةً شديدة فصار مثلًا لكل من جاء ذلك الوقت و
قيل المراد به الظَّبْي لأنه يَسْدَر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الأعمى
ثم صُغِّر الأعمى تصغير الترخيم فقيل عُمَيٌّ كما صُغِّر أسود وأزهر فقالوا سُوَيْد وزُهَيْر
وقوله وكان يومًا أطول من ظِلِّ القناة يُوصَف اليوم الطويل بظل القناة كما يُوصَف
اليوم القصير بإبهام القطاة والعرب تزعم أن ظل الرمح أطول ظل ومنه قول الشاعر
هو شَبْرَمَة بن الطُّفَيْل ويومٍ كظِلِّ الرمح قصَّر طوله دمُ الزِّقِّ عنا واصطفاق المزاهر
وقوله أحرَّ من دمع المِقْلات المِقْلات التي لا يعيش لها ولد فدمعها أبدًا حارٌّ لحزنها
لأنه يقال إن دمعة الحزن حارّة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعوّ له أقرّ
الله عينه مأخوذ من القُرّ وهو البرد وقيل للمدعوّ عليه أسخن الله عينه مأخوذ
من السُّخْنة وهي الحرارة وقيل إن إقرار العين مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أن
يرزق ما يُقِرّ عينه حتى لا يطمح إلى مال غيره وكانت الجاهلية تزعم أن المقلات إذا
وَطِئَتْ على قتيل شريف عاش ولدها وإلى هذا أشار بِشْر بن أبي خازم في قوله تظلّ مقاليت
النساء يَطَأْنَه يقلن ألا يُلْقَى على المرء مِئْزَرُ وقوله عَلِقَتْ بي شَعُوبُ يعني المنيّة

ولا يدخل على هذا الاسم اداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله اغور تحتها
الى المغيربان التغوير النزول للقايلة كما ان التعريس النزول اخر الليل للتهويم او الاستراحة
والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب الحقت آخره
الفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله مصطفنا اهبة تجواب الاصطفان ان
يحمل الشي تحت حضنه والاضطبان ان يجعله تحت ضبنه والضبن ما
بين الابط والكشح ويقال ان اول مراتب الحمل الابط ثم تحته الضبن وهو اسفل
الابط ثم تحته الحضن وهو عند الجنب والتجواب مصدر جاب وجميع
المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء وقال بعضهم
تنضال وقوله عجري وبجري يريد به جميع امري الظاهر والباطن واصل
العجر العقد الناتية في العصب والبجر العقد الناتية في البطن وقوله ولم
يقل ايها اي لم يامرني بالكف يقال للمستزاد ايه وللمستكف ايها وقوله لامر ما
جدع قصير انفه قصير هذا مولى جذيمة الابرش وكان جدع انفه بيده حين
قتلت الزباء مولاه ثم اتاها فاوهمها ان عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة هو الذي
جدع انفه اتهاما له بانه غش خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحظي
قصير بهذا القول عندها حتى جهزته مرارا الى العراق فكان ياتيها بالطرف منه الى ان
استصحب اخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه منها

وقصته مشهورة

وأما

واما قوله ولو كان ابن بوحك يعني ولد الصلب اشارة الى انه ولد في باحة داره

وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل ان البوح اسم من اسماء الذكر وقوله في شهري ناجر

شهرا ناجرها شهرا الحر وقيل انهما حزيران وتموز وانكر ابو بكر محمد بن دريد هذا القو

وقال هما طلوع نجمين وقوله بت بليلة نابغية اوما به الى قول النابغة

بت كاني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقع وقوله المعت اليه

بثوبي يعني اشرت يقال منه لمع والمع بمعنى وقوله يلدغ ويصي هذا مثل يضرب لمن

يظلم ثم يشكو يقال صات العقرب تصي صئيا بفتح الصاد وكسرها اذا صوتت وكذلك

الفرخ وما احسن قول ابن الرومي في هذا المعنى تشكي المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس

تصمي الرمايا وهي مرنان وقوله ينزو ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال

ان اصله الجدي ينزو وهو صغير فاذا كبر لان وقوله لا ابسا جلد النمر هذا المثل يضرب

للتهدد الجري لان النمر اجرى سبع واقله احتمالا للضيم ومن هذا الاشتقاق قولهم تنمر اي

صار مثل النمر وقوله الحق بالقارظين الاصل في القارظ الذي يجني القرظ وهو النبات

المدبوغ به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والاخر من النمر بن قاسط و

كانا خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غايب

لا يرجى ايابه والبهما اشار ابو ذويب بقوله وحتى يووب القارظان كلاهما وينشر

في القتلى كليب لوايل وقوله واصل حروري بسموم الحروري الريح الهابة ليلا والسموم

الريح الحارة الهابة نهاراً وقد تقام إحداهما مقام الأخرى مجازاً وقال بعضهم
الحرور تكون ليلاً ونهاراً والسموم تختص بالنهار وقوله العريسة يعني مأوى السبع
يقال فيه عريس وعريسة بإثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين
وعرينة وأما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء وأما قوله أفلت وله حصاص
هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة أشفى عليها بعد ما كاد يهوي فيها والحصاص
العدو وقيل إنه الضراط وقوله ويل أهون من ويلين هذا المثل يضرب لمن ناله
بعض المكروه ومثله قول الشاعر وبعض الشر أهون من بعض وقوله أنا تئق
وأنت مئق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق لأن التئق هو
الممتلي غيظاً مأخوذ من أتأقت الإناء إذا ملأته والمئق هو الباكي فكان التئق
ينزع إلى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعاً باحتماله وقوله لطيتي يعني لقصدي
ووجهتي وقد يقال فيه طية بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتي واللتيا تصغير
التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لأن القياس أن تضم أول الاسم إذا صغر
وقد أقر هذا الاسم على فتحته الأصلية عند تصغيره لأن العرب عوضته
عن ضم أوله بأن زادت ألفاً في آخره وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه
فقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف
في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما من أسماء الداهية وقيل المراد بهما بعد صغير الأمر

وكبيره

المقامة ٢٨

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية

أخبر الحرث بن همام قال تبضعت في بعض أسفاري القند وقصدت به
سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط جموم النشاط أرمي عن قوس المراح إلى غرض
الأفراح وأستعين بماء الشباب على ملامح التراب فوافيتها بكرة عروبة بعد
أن كابدت الصعوبة فسعيت وما ونيت إلى أن حصل البيت فلما نقلت
إليه قندي وملكت قرار عندي عجت إلى الحمام على الأثر وأمطت عني وعثاء
السفر وأخذت في غسل الجمعة بالأثر ثم بادرت في هيئة الخاشع إلى مسجدها
الجامع لأتحرى بمن يقترب من الإمام ويقرب أفضل الأنعام فحظيت بأن حللت
في الحلبة وتخيرت المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله أفواجا
ويردون فرادى وأزواجا حتى إذا اكتظ الجامع بحفله واظل تساوي الشخص وظله
برز الخطيب في أهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة إلى أن

منارًا بالذروة فسلم مشيرًا باليمين ثم جلس حتى ختم نظم التأذين ثم قام وقال

الحمد لله الممدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللأواء مالك

الأمم ومصور الرمم وأهل السماح والكرم ومهلك عاد وإرم أدرك كل سر علمه

ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد حوله أحمده حمد موحد

مسلم وأدعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد العادل الصمد

لا ولد له ولا والد ولا ردء معه ولا مساعد أرسل محمدًا للإسلام ممهدًا وللملة موطدًا

ولأدلة الرسل مؤكدًا وللأسود والأحمر مسددًا وصل الأرحام وعلم الأحكام ووسم

الحلال والحرام ورسم الإحلال والإحرام كرم الله محله وكمل الصلاة والسلام له

ورحم آله الكرماء وأهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطا حسام

اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء واردعوا أهواءكم

ردع الأعداء وأعدوا للرحلة إعداد السعداء وادرعوا حلل الورع وداووا

علل

علل الطمع وسوّوا اود العمل وعاصوا وساوس الامل وصوّروا الاوهام كم حوّل

الاحوال وحلول الاهوال ومساورة الاعلال ومصارمة المال والآل واذكروا

الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك

وروعة سؤاله ومطلعه والحوا الدهر ولؤم كرّه وسوء محاله ومكره كم طمس

معلمًا وامرّ مطعمًا وطحطح عرمرمًا ودمّر ملكا مكرّما همه سدّ المسامع وسحّ

المدامع واكداء المطامع وارداء المسمع والسامع عمّ حكمه الملوك والرعاع و

المسود والمطاع والمحسود والحسّاد والاساود والاساد ما مؤمّل الامال وعكس

الامال ولا وصل الاصال وكلم الاوصال ولا سرّ الاساء ولؤم واساء ولا اصحّ الا

ولد الداء ورقوع الادواء الله الله رعاكم الله الام مداومة اللهو ومواصلة السهو

وطول الاصرار وحمل الاصار واطراح كلام الحكماء ومعاصاة اله السماء

اما الهرم حصادكم والمدر مهادكم اما الحمام مدرككم والصراط مسلككم اما

الساعة موعدكم والساهرة موردكم أما أهوال الطامة لكم مرصدة أما دار
العصاة الحطمة الموصدة حارسهم مالك وروادهم حالك وطعامهم السموم
وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدد ألا رحم الله امرأ
ملك هواه وأم مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه وعمل ما
دام العمر مطاوعا والدهر موادعا والصحة كاملة والسلامة حاصلة وإلا دهمه
عدم المرام وحصر الكلام وإلمام الآلام وحموم الحمام وهدو الحواس ومراس
الأرماس آها لها حسرة ألمها مؤكد وأمدها سرمد ومارسها مكمد ما لوهلها حاسم
ولا لسدمه راحم ولا له مما عراه عاصم ألهمكم الله أحمد الإلهام وردأكم رداء الإكرام
وأحلكم دار السلام وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام وهو أسمح الكرام والمسلم
والسلام قال الحارث بن همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا
بغير نقط دعاني الإعجاب بنظمها العجيب إلى استجلاء وجه الخطيب فأخذت

فتوسمته جدًا وأقلبت الطرف فيه مجدًا إلى أن وضح لي بصدق العلامات أنه شيخنا
ذو المقامات ولم يكن بدّ من الصمت في ذلك الوقت فأمسكت حتى تحلل من
الفرض وحل الانتشار في الأرض ثم واجهت تلقاءه وابتدرت لقاءه فلما لحظني خف
في القيام وأحفى في الإكرام ثم استصحبني إلى داره وأودعني خصائص أسراره و
حين انتشر جناح الظلام وحان ميقات المنام أحضر أباريق المدام مختومة
بالفدام فقلت أتحسوها أمام النوم وأنت إمام القوم فقال مه أنا بالنهار
خطيب وبالليل أطيب فقلت والله ما أدري أأعجب من تسليتك عن أناسك
ومسقط راسك أم من خطابتك مع أدناسك ومدار كاسك فأشاح بوجهه عني
ثم قال اسمع مني

لا تبك إلفًا نأى ولا دارا ... ودر مع الدهر كيف ما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنًا ... ومثّل الأرض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره ... وداره فاللبيب من دارى
ولا تضع فرصة السرور فما ... تدري أيومًا تعيش أم دارا
واعلم بأن المنون جائلة ... وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمت لا تزال قانصة ... ما كرّ عصر الحياة وما دارا

فكيف ترجى النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولا دارا قال فلما

اعتورتنا الكؤوس وطربت النفوس حرّضني اليمين الغموس على ان احفظ عليه

الناموس فاتبعت مرامه ورعيت ذمامه ونزّلته بين الملا منزلة الفضيل

وسدلت الازار على الخازي الليل ولم يزل ذلك دأبه ودأبي الى ان تصدّى ايابي

فودعته وهو مصرّ على التدليس ومسرّ حسو الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية

حكى الحارث بن همام قال الجأني حكم دهر قاسط الى ان انتجع ارض واسط فقصدتها

وانا لا اعرف بها سكنا ولا املك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء

والشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ الناقص والجد الناكص الى خان

ينزله شذاذ الآفاق واخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه

يرغب الغريب في استيطانه وينسيه هوى اوطانه فاستفردت منه بحجرة ولم

انا فيه في حيرة فما كان الا كلمح طرف او خطف حرف حتى سمعت جار بيتي
يقول للنزيل في البيت قم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك واستصحب ذا الوجه
البدري واللون الدري والاصل النقي والجسم الشقي الذي قبض ونشر وسجن وشهر
وسقي وفطم وادخل النار بعد ما لطم ثم اركض الى السوق ركض المشوق فقايض به
اللالئ الملالئ المفسد المصلح المكمد المفرح المعني المروح ذا الزفير المحرق والجبين
المشرق واللفظ المقنع والنيل الممتع الذي اذا طرق رعد وبرق وباح بالحرق و
نفث في الخرق قال فلما قرت شقشقة الهادر ولم يبق الا صدر الصادر برز فتى
يميس وما معه انيس فرأيتها عضلة تلعب في العقول وتغري بالدخول في الفضول
فانطلقت في اثر الغلام لاخبر فحوى الكلام فلم يزل يسعى سعي العفاريت ويتفقد
نضائد الحوانيت حتى انتهى عند الرواح الى حجارة القداح فناول بائعها رغيفا
وتناول منه حجرا لطيفا فعجبت من فطانة المرسل والمرسل وعلمت انها سروجية

وإن لم أسْلُ وما كربت أن بادرت إلى الخان منطلق العنان لأنظر كنه فهمي وهل

قرطس في التكهن سهمي فإذا أنا في الفراسة فارس وأبو زيد بوصيد الخان جالس

فتهادينا بشرى الالتقاء وتقارضنا تحية الأصدقاء ثم قال ما الذي نابك

حتى زايلت جنابك فقلت دهر هاض وجور فاض فقال والذي أنزل المطر من

الغمام وأخرج الثمر من الأكمام لقد فسد الزمان وعم العدوان وعدم المعوان

والله المستعان فكيف أفلت وعلى أي وصفيك أجفلت فقلت اتخذت

الليل قميصا وأدلجت فيه خميصا فأطرق ينكت في الأرض ويفكر في ارتياد

القرض والفرض ثم اهتز هزة من اكتسى تنصرا أو بدت له فرص فقال قد علق

بقلبي أن تصاهر من يأسو جراحك ويريش جناحك فقلت وكيف أجمع بين

بين غل وقل ومن الذي يرغب في ضر ابن ضر فقال أنا المشير بك والليك والوكيل

لك وعليك مع أن دين القوم جبر الكسير وفك الأسير واحترام العشير واستنصا

المشير

المشير الا انهم لو خطب اليهم ابراهيم بن ادهم او جبلة بن الايهم لما زوجوه الا على

خمسمائة درهم اقتداء بما امهر الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته وعقد به

انكحة بناته على انك لن تطالب بصداق ولا تلجا الى طلاق ثم انشا خطب

في موقف عقدك وجمع حشدك خطبة لم تفتق رتق سمع ولا خطب بمثلها في جمع

قال الحرث بن همام فازدهاني بوصف الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة

حتى قلت له قد وكلت اليك هذا الخطب فدبره تدبير من طب لمن حب فنهض

مهرولا ثم عاد متهللا وقال ابشر باعتاب الدهر واحتلاب الدر فقد وليت العقد

واكفلت النقد وكان قد ثم اخذ في مواعدة اهل الخان واعداد حلواء الخوان

فلما الليل مد اطنابه واغلق كل ذي باب بابه اذن في الجماعة الا احضروا الى هذه

الساعة فلم يتوقف منهم الا من لبى صوته وحضر بيته فلما اصطفوا لديه واجتمع

الشاهد والمشهود عليه جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ التقويم ويدعه

الى ان نعس القوم وغشي النوم فقلت له يا هذا ضع الفاس في الراس وخلص الناس

فنظر نظرة في النجوم ثم انتشط من عقلة الوجوم واقسم بالطور والكتاب المسطور

لينكشفن سر هذا الامر المستور ولينشرن ذكره الى يوم النشور ثم انه جثا على

ركبته واسترعى الاسماع لخطبته وقال الحمد لله الملك المحمود المالك الودود

مصور كل مولود ومآل كل مطرود ساطح المهاد وموطد الاطواد ومرسل الامطار

ومسهل الاوطار وعالم الاسرار ومدركها ومدمر الاملاك ومهلكها ومكور الدهور و

مكررها ومورد الامور ومصدرها عم سماحه وكمل وهطل ركامه وهمل وطاوع

السؤل والامل واوسع المرمل والارمل احمده حمدا ممدودا مداه واوحده كما وحده

الاواه وهو الله لا اله للامم سواه ولا صادع لما عدله وسواه ارسل محمدا علما

للاسلام واماما للحكام ومسددا للرعاع ومعطلا احكام ود وسواع علم واعلم

وحكم واحكم واصل الاصول ومهد واكد الوعود واوعد واصل الله له الاكرام واودع

روحه

٦

روحه السلام ورحمة الله وأهله الكرام ما لمع آل وما همع وال وطلع هلال وسمع

إهلال اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك الحلال واطرحوا الحرام

ودعوه واسمعوا أمر الله وعوه وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء

واردعوها وصاهروا لحم الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع و

مصاهركم أطهر الأحرار مولدا وأسراهم سوددا وأحلاهم موردا وأصحهم موعدا

وها هو أمّكم وحلّ حرمكم مملكا عروسكم المكرمة وماهرا لها كما مهر الرسول أم

سلمة وهو أكرم صهر أودع الأولاد وملك ما أراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس

ملاحمه ولا وصم أسأل الله لكم إحماد وصاله ودوام إسعاده وألهم كلا إصلاح حاله

والإعداد لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد . فلما فرغ من خطبته

البديعة النظام العرية من الإعجام عقد العقد على الخمس المئين وقال بالرفاء

والبنين ثم أحضر الحلواء التي كان أعدها وأبدى الأبدة عندها فأقبلت أقبال

الجماعة عليها وكرّت أهوي بيدي إليها فزجرني عن المواكلة وانهضني للمناولة

فوالله ما كان بأسرع من تصلّف الأجفان حتى خرّ القوم للأذقان فلما رأيتهم

كأعجاز نخل خاوية أو صرعى بنت خابية علمت أنها أخت الكبر وأم العبر

فقلت له يا عدو نفسه وعبد فلسه أعددت للقوم حلواء أم بلوى فقال

لم أعد خبيص البنج في صحاف الخلنج فقلت أقسم بمن أطلعها زهرا وهدى بها

الشارين طرا لقد جئت شيئا نكرا وأبقيت لك في المخزيات ذكرا ثم حرت بفكرة

في صيور أمره وخيفة من عروى عره حتى طارت نفسي شعاعا وأرعدت

فرائصي ارتياعا فلما رأى استطارة فرقي واستشاطة قلقي قال يا هذا الفكر المرمض

والروع الموحض فإن يكن اهتمامك في أجلي من أجلي فأنا الآن أرتع وأظفر وأقوى

هذه البقعة مني وأقفر وكم مثلها فارقتها وهي تصفر وإن يكن نظرا لنفسك و

حذرا من حبسك فتناول فضالة الخبيص وطب نفسا عن القميص حتى تأمن

المستعرى

المستعري والمعري ويتمهد لك المقام بعري والا فالمفر المفر قبل ان تسحب وتجر
ثم عمد لاستخراج ما في البيوت من الاكياس والتخوت وجعل يستخلص خالصة كل
مخزون ونخبة كل مذروع وموزون حتى غادرها الغادة فخة كعظم استخرج مخة
فلما هن ما اصطفاه ورزمه وشمر عن ذراعه وتحزم اقبل على اقبال من لبس
الصفاقة وخلع الصداقة وقال هل لك في المصاحبة الى البطيحة لاصلك
باخرى مليحة فاقسمت له بالذي جعله مباركا اينما كان ولم يجعله ممن خان
في خان انه لا قبل لي بنكاح حرتين ومعاشرة ضرتين ثم قلت له قول المتطبع
بطباعه الكايل له بصاعه قد كفتني الاولى فخرا فاطلب اجر الاخرى فتبسم
من كلامي ودلف لالتزامي فلويت عنه عذاري وابديت له ازوراري فلما بصر
بانقباضي وتجلى له اعراضي انشد   يا صارفا عني المودة والزمان له صروف
ومعنفي في فضح من جاورت تعنيف العسوف   لا تلحني فيما اتيت فانني بهم عروف

ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوف — وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف

ما فيهم إلا عنيف إن تمكن أو مخوف — لا بالصفو ولا الوفي ولا الشفيق ولا العطوف

فوثبت فيهم وثبة الذيب الضري على الخروف — وتركتهم صرعى كأنهم سقوا كأس الحتوف

وتحكمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الأنوف — ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطوف

ولطالما خلفت مكلوم الحشى خلفي يطوف — ووترت أرباب الأرائك والدرانك والسجوف

ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف — ووقفت في هول تراع الأسد فيه من الوقوف

ولكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حمى أنوف — وكم ارتكاض موبق لي في الذنوب وكم خفوف

بلغ

لكنني أعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف — قال فلما انتهى إلى هذا البيت لج في الاستعبار

والظ بالاستغفار حتى استمال هوى قلبي المنحرف ورجوت له ما يرجى للمقترف

المعترف ثم إنه غيض دمعه المنهل وتأبط جرابه وانسل وقال لابنه احتمل الباقي

والله الواقي قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب الحية والحيية وانتهاء

الداء

الداء الى الكية علمت ان قرينتي بالخان مجلبة الهوان فصممت رحيلي ووجهت
للرحلة ذيلي وبت ليلتي جمعا أسري الى الطبيب واحتسب الله على الخطيب

المقامة الثلاثون الصورية

حكى الحرث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلت
بها ذا رفعة وخفض ومالك رفع وخفض تقت الى مصر توقان السقيم الى الآساة
والكريم الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونفضت عوائق الاقامة واعرو ريت
ظهر ابن النعامة واجفلت نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين
ومداناة الحين كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح
فبينا انا يوما اطوف وتحتي فرس قطوف اذ رايت على جرد من الخيل عصبة
كمصابيح الليل فسألت لانتجاع النزهة عن العصبة والوجهة فقيل اما القوم
فشهود واما المقصد فاملاك مشهود فحدتني ميعة النشاط الى ان سرت مع

الفراط لافوز بحلاوة الالتقاط واحوز حلواء السماط فافضينا بعد مكابدة

العناء الى دار رفيعة البناء فسيحة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء

فلما انزلنا عن صهوات الخيول وقدمنا الاقدام للدخول رأيت دهليزها

مجللا باطمار مخرقة ومكللا بمخارف معلقة وهناك شخص على قطيفة فوق

دكة لطيفة فرابني عنوان الصحيفة ومرأى هذه الطريفة ودعاني التطير بتلك

المناحس الى ان عهدت لذلك الجالس فعرفت عليه بمصرف الاقدار لتعرفني

من رب هذه الدار فقال ما لها مالك معين ولا صاحب مبين وانما هي مصطبة

المقيقين والمدروزين ووليجة المستقسقين والمجلوزين فقلت في نفسي انا

لله على ضلة المسعى واهمال المرعى وهممت في الحال بالرجوع لكنني استهجنت العود

من فوري والقهقرة دون غيري فولجت الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور

فة

القفص فاذا فيها ارائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وسجوف مرصو

وقد اقبل الملك يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته فحين جلس كانه ابن ماء
السماء نادى منادٍ من قبل الاحماء وحرمة ساسان استاذ الاستاذين وقدوة
الشحاذين لا عقد هذا العقد المبجل الاغر المحجل الا الذي جال وجاب وشب في
الكدية وشاب فاعجب رهط الصهر ما اشار اليه واذنوا في احضار المنصوص
عليه فبرز حينئذ شيخ قد امال الملوان قامته ونور الفتيان ثغامته فتبا شَرَتْ
الجماعة باقباله وتبادرت الى استقباله فلما جلس على زربيته وسكنت
الضوضاء لهيبته ازدلف الى منبره ومسح سبلته بيده ثم قال
الحمد لله المبتدئ بالافضال المبتدع للنوال المتقرب اليه بالسؤال الموصول المحقق للآمال لِ
الذي شرع الزكوة في الاموال وزجر عن نهر السؤال وندب الى مواساة المضطر وامر
باطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين في كتابه المبين فقال وهو
اصدق القائلين والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم احمده على ما رزق

من طعمة هنية واعوذ به من استماع دعوة بلا نية واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له الذي يجزي المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربا ويربي الصدقات
واشهد ان محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء
وينتصف للفقراء من الاغنياء فرفق صلى الله عليه بالمسكين وخفض جناحه
للمستكين وفرض الحق في اموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين صلى
الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى اصفيائه اهل الصفة اما بعد فان الله
تعالى شرع النكاح ليتعففوا وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه لتعرفوا انا
خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وهذا ابو الدراج ولاج
بن خراج ذو الوجه الوقاح والافك الصراح والهرير والصياح والابرام والالحاح
يخطب سليطة اهلها وشريطة بعلها قنبس بنت ابي العنبس لما بلغه من
التحافها بلحافها واسرافها في اسفافها وانكماشها على معاشها وانتعاشها عند هراشها

وقد

وَقَدْ بَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ شِلَاقًا وَعُكَّازًا وَصِقَاعًا وَكِرَازًا فَأَنْكِحُوهُ إِنْكَاحَ مِثْلِهِ
وَصِلُوا أَحْبَالَكُمْ بِحَبْلِهِ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ أَقُولُ
قَوْلِي هٰذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُكَثِّرَ فِي الْمَسَاطِبِ نَسْلَكُمْ وَيَحْرُسَ
مِنَ الْمَعَاطِبِ شَمْلَكُمْ فَلَمَّا فَرَغَ الشَّيْخُ مِنْ خُطْبَتِهِ وَأَبْرَمَ لِلْخَتَنِ عَقْدَ خِطْبَتِهِ تَسَاقَطَ
مِنَ النِّثَارِ مَا اسْتَغْرَقَ حَدَّ الْإِكْثَارِ وَأَغْرَى الشَّحِيحَ بِالْإِيثَارِ ثُمَّ نَهَضَ الشَّيْخُ يَسْحَبُ
ذَلَاذِلَهُ وَيُقَدِّمُ أَرَاذِلَهُ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَتَبِعْتُهُ لِأَنْظُرَ عُرْجَةَ الْقَوْمِ وَأُجْمِلَ بَهْجَةَ
الْيَوْمِ فَعَاجَ بِهِمْ إِلَى سِمَاطٍ زُيِّنَتْ شَهَاتُهُ وَتَنَاصَفَتْ فِي الْحُسْنِ جِهَاتُهُ فَحِينَ رَبَعَ كُلُّ
شَخْصٍ فِي بُقْعَتِهِ وَطَفِقَ يَرْتَعُ فِي رَوْضَتِهِ انْسَلَلْتُ مِنَ الصَّفِّ وَنَفَرْتُ مِنَ الزَّحْفِ
فَحَانَتْ مِنَ الشَّيْخِ لَفْتَةٌ إِلَيَّ وَنَظْرَةٌ هَجَمَ بِهَا طَرْفُهُ عَلَيَّ فَقَالَ إِلَى أَيْنَ يَا بَرَمُ هَلَّا عَاشَرْتَ
مُعَاشَرَةَ مَنْ فِيهِ كَرَمٌ فَقُلْتُ وَالَّذِي خَلَقَ طِبَاقًا وَطَبَّقَ الْآفَاقَ إِشْرَاقًا لَا ذُقْتُ لَمَاقًا وَلَا
لُسْتُ رُقَاقًا أَوْ تُخْبِرَنِي مِنْ أَيْنَ مَدَبُّ صِبَاكَ وَإِلَى أَيْنَ مَهَبُّ صَبَاكَ فَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ

مرارا وارسل البكاء مدرارا حتى اذا استنزف الدمع استنصت الجمع وقال اسمع وانشد

مسقط الرأس سروج وبها كنت اموج
بلدة يوجد فيها كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج
وازاهير رباها حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عنها زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج
عبرة تهمي وشوق كلما قر يهيج

خ وشجو

وهموم كل يوم خطبها خطب مريج
ومساع في التراجي قاصرات الخطو عوج
ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج

قال فلما تبينت بلدته ووعيت ما انشده ايقنت انه علامتنا ابو زيد وان كان الهرم قد اوثقه بقيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مؤاكلته من صحفته وظلت مدة مقامي بمصر اعشو الى شواظه واحشو صدفي من درر الفاظه الى ان نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة ٣١

المقامة الحادية والثلاثون الرملية

حدث الحرث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب اقلي الاكتنان بالغاب واهوى الانسلال من القراب لعلمي ان السفر يسفر عن الظفر ومحاقرة الوطن تعقر الفطن وتحقر من فطن فاجلت قداح الاستشارة واقتدحت زناد الاستخارة ثم استجشت جاشا اثبت من الحجارة واصعدت الى ساحل الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة والقيت بها عصا الرحلة صادفت ركابا تعد للسرى ورحالا تشد الى ام القرى فعصفت بي ريح الغرام واهتاج لي شوق الى البيت الحرام فزممت ناقتي ونبذت علقي وعلاقتي وقلت للائمي اقصر فاني ساختار المقام على المقام وانفق ما جمعت بارض جمع واسلو بالحطيم عن الحطام ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل والى الخير جري الخيل فلم نزل بين ادلاج وتاويب وايجاف وتقريب الى ان حبتنا ايدي المطايا بالتحفة في ايصالنا الى الجحفة فحللناها

فما هبين الاحرام متباشرين بادراك المرام فلم يكن الا ان انخنا الركايب وحططنا

الحقايب حتى طلع من بين الهضاب شخص ضاحي الاهاب وهو ينادي يا اهل

ذا النادي هلم الى ما ينجي يوم التنادي فانخرط اليه الحجيج وانصلتوا واحتفوا

به وانصتوا فلما راى تالبهم حوله واستحفاظهم قوله تسنم احدى الاكام ثم

تنحنح مستفتحا للكلام وقال يا معشر الحجاج الناسلين من الفجاج اتعقلون ما

تواجهون والى من تتوجهون ام تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون اتخا

ان الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل وايقار الزوامل ام تظنون

ان النسك هو قصر الاردان وانضاء الابدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان

كلا والله بل هو اجتناب الخطية قبل اجتلاب المطية واخلاص النية في قصد تلك

البنية واقامة الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح المعاملات امام اعمال

اليعملات فوالذي شرع المناسك للناسك وارشد السالك في الليل الحالك ما ينفع الاغتسال

بالذنوب

بالذنوب من الانغماس في الذنوب ولا تعرية الأجسام بتعبية الأجرام ولا نزع

لبسة الإحرام عن المتلبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالأزار مع الاضطلاع بالأو زاد

ولا يجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم الخلق ولا يرحض التنسك بالتقصير

درن التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة غير أهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من

يرغب في الحيف ولا يشهد المقام إلا من استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ

عن المحجة فرحم الله امرأ صفا قبل مسعاه إلى الصفا وورد شريعة الرضا قبل

شروعه على الأضا ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الإفا صنة

من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وانشد

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ... ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا

الحج أن تقصد البيت الحرام على ... تجريدك الحج لا تبغي به حاجا

وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ... ردع الهوى هاديا والحق منهاجا

وَإِنْ تُوَاسِي بِمَا أُوتِيتَ مَقْدُرَةً ‏ مَنْ مَدَّ كَفًّا إِلَى جَدْوَاكَ مُحْتَاجَا

فَهَذِهِ إِنْ حَوَتْهَا حَجَّةٌ كَمُلَتْ ‏ وَإِنْ خَلَا الْحَجُّ مِنْهَا كَانَ إِخْدَاجَا

حَسْبُ امْرِئٍ غَبْنًا أَنَّهُمْ غَرَسُوا ‏ وَمَا جَنَوْا وَلَقُوا كَدًّا وَإِزْعَاجَا

فَإِنَّهُمْ حُرِمُوا أَجْرًا وَمَحْمَدَةً ‏ وَأَلْحَمُوا عِرْضَهُمْ مَنْ عَابَ أَوْ هَاجَا

أُخَيَّ فَابْغِ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ قُرَبٍ ‏ وَجْهَ الْمُهَيْمِنِ لَا جَاهًا وَخَرَاجَا

فَلَيْسَ تَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ ‏ إِنْ أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ أَوْ دَاجَا

وَبَادِرِ الْمَوْتَ بِالْحُسْنَى تُقَدِّمُهَا ‏ فَمَا يُنَهْنِهُهُ دَاعِي الْمَوْتِ إِنْ فَاجَا

وَاقْرِنْ التَّوَاضُعَ خُلُقًا لَا تُزَايِلُهُ ‏ عَنْكَ اللَّيَالِي وَلَوْ أَلْبَسْنَكَ التَّاجَا

وَلَا تَشِمْ كُلَّ خَالٍ لَاحَ بَارِقُهُ ‏ وَلَوْ تَرَاءَى هَتُونَ السَّكْبِ ثَجَّاجَا

مَا كُلُّ دَاعٍ بِأَهْلٍ أَنْ يُصَاخَ لَهُ ‏ كَمْ قَدْ أَصَمَّ بِنَعْيٍ بَعْضُ مَنْ نَاجَا

وَمَا اللَّبِيبُ سِوَى مَنْ بَاتَ مُقْتَنِعًا ‏ بِبُلْغَةٍ يُدْرِجُ الْأَيَّامَ إِدْرَاجَا

فلا

فكل كثر إلى قل مغبته وكل ناز إلى البلى وانهاجا قال الراوي فلما ألفى عقم
الأفهام بسحر الكلام استروحت ريح أبي زيد وما دني الارتياح اليه أي ميد فكشفت
حتى استوعب نث حكمته وانحدر من أكمته ثم ذهبت اليه لا تصفح صفحات محياه
واستشف جوهر حلاه فاذا هو الضالة التي أنشدها وناظم القلائد التي أنشدها
فعانقته عناق اللام للألف ونزلته منزلة البر عند الدنف وسألته أن يلازمني
فأبى أو يزاملني فنبا وقال آليت في حجتي هذه ألا احتقب ولا اعتقب ولا أكتسب
ولا أنتسب ولا أرتفق ولا أرافق من ينافق ثم ذهب يهرول وغادرني أولول فلم أزل
أقريه نظري وأوده لو يمشي على ناظري حتى توقل أحد الأطواد ووقف للحجيج بالمرصاد
فحين شاهد اتضاع الركبان في الكثبان وقع بالبنان على البنان واندفع ينشد

ليس من زار راكبا مثل ساع على القدم   لا ولا خادم أطاع كعاص من الخدم

كيف يا قوم يستوي ساع بان ومن هدم   سيقيم المفرطون غدا مأتم الندم

ويقول الذي تقرب طوبى لمن خدم ويك يا نفس قدمي صالحا عند ذي القدم

وازدري زخرف الحياة فوجدانه عدم واذكري مصرع الحمام اذا خطبه صدم

واندبي فعلك القبيح ونوحي له بدم وادبغيه بتوبة قبل ان يحكم الادم

فعسى الله ان يقيك السعير الذي احتدم يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم

ثم انه اغمد عضب لسانه وانطلق لشانه فما زلت في كل مورد ارده ومعرس اتوسده

اتفقده فافقده واستنجد بمن ينشده فلا يجده حتى خلت ان الجن اختطفته

او الارض اقتطفته فما كابدت في الغربة كهذه الكربة ولا منيت في سفرة بمثلها

المقامة الثانية والثلثون الحربية من زهرة

حكى الحرث بن همام قال اجمعت حين قضيت مناسك الحج واقمت وظائف العج

والثج ان اقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة لازور قبر المصطفى واخرج من قبيل

من حج وجفا فارجف بان المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت

بين إشفاق يثبطني وأشواق تنشطني إلى أن ألقي في روعي الاستسلام وتغليب
زيارة قبره عليه السلام فاعتمت القفرة وأعددت العدة وسرت والرفقة لا
نلوي على عرجة ولا ننثني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا بني حرب وقد آبوا من حرب
فأزمعنا أن نقضي ظل اليوم في حلة القوم وبينما نحن نتخير المناخ ونرود الورد
النقاخ إذ رأيناهم يركضون كأنهم إلى نصب يوفضون فرابنا انثيالهم وسألنا ما
ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فأهرعهم هذا السبب فقلت لرفقتي ألا
نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي فقالوا لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت
وما ألوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى إذا أطللنا عليه واستشففنا
الفقيه المنهود إليه ألفيته أبا زيد ذا الشقر والبقر والفواقر والفقر وقد اعتم القفداء
واشتمل الصماء وقعد القرفصاء وأعيان الحي به يحتفون وأخلاطهم عليه يلتفون
وهو يقول سلوني عن المعضلات واستوضحوا مني المشكلات فوالذي فطر السماء

وعلّم آدم الاسماء، اني لفقيه العرب العرباء، واعلم من تحت الجرباء، فصمد له

فتى فتيق اللسان، جريّ الجنان، وقال اني حاضرت فقهاء الدنيا، حتى انتخلت منهم

مائة فتيا، فان كنت ممن يرغب عن بنات غير، ويرغب منا في مير، فاستمع واجب

لتقابل بما يجب، فقال له الله اكبر، سيبين المخبر، وينكشف المضمر، فاصدع بما تؤمر

فقال ما تقول فيمن لمس ظهر نعله — فقال انتقض وضوؤه بفعله

قال فان توضأ ثم اتكاه البرد — قال يجدد الوضوء من بعد

قال ايجوز الوضوء بما يقذفه الثعبان — قال واي ماء انظف منه للعريان

جمع عريب — جمع ثعب وهو مسيل الوادي

قال ايمسح المتوضي انثييه — قال قد ندب اليه ولم يوجب عليه

اي دعي اليه

قال ايجوز ان يستباح ماء الضرير — قال نعم ويجتنب ماء البصير

جوف الوادي — الكلب

قال ايحل الطوف في الربيع — قال يكره ذلك لحدث الشنيع

الطوف والنغوط والربيع النهر

قال ايجب الغسل على من امنى — قال لا ولو ثنى

اي امنى ويقال منه منى وامنى ومنّى

قال

قال فهل يجب على الجنب غسل فروته — قال أجل وغسل ابرته

جلدة الراس — عظم المرفق

قال فإن أخل بغسل فاسه — قال كما لو أخل بغسل راسه

الفاس العظم المشرف على نقرة القفا

قال ما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا — قال بطل تيممه فليتوضا

جمع روضة وهو الصبابة

قال أيجوز أن يسجد في العذرة — قال نعم وليجانب القذرة

فناء الدار

قال فهل له السجود على الخلاف — قال لا ولا على أحد الأطراف

الكم

قال فإن سجد على شماله — قال لا باس بفعاله

جمع شملة

قال فهل يجوز السجود على الكراع — قال نعم دون الذراع

ما استطال من الحرة الحرة الحجارة السود

قال أيصلى على راس الكلب — قال نعم كساير الهضب

ثنية معروفة

قال أيباح لبس المدمى في الصلاة — قال نعم خصوصا للفتاة

الاحمر

قال فما تقول فيمن صلى وعانته بارزة — قال صلاته جايزة

الجماعة من حمر الوحش

قال فإن صلى وعليه صوم — قال يعيد ولو مائة يوم

زرق النعام

قال فإن حمل جروا ثم صلى　　قال هو كما لو حمل باقلى

الجرو الصغار من القثا والرمان

قال أيصح صلوة حامل القروة　　قال لا ولو صلى فوق المروة

ميلغة الكلب

قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو　　قال يمضي في صلاته ولا غرو

السحاب الذي قد راق ماؤه

قال أيجوز أن يؤم الرجال المقنع　　قال نعم ومدرع

لابس المغفر　　لابس الدرع

قال فإن أمهم طاهر في يده وقف　　قال يعيدون ولو أنهم ألف

السوار من العاج والذبل جلد السلحفاة البحرية

قال فإن أمهم من فخذه بادية　　قال صلاته وصلاتهم ماضية

الفخذ العشيرة　　يسكنون البدو

قال فإن أمهم الثور الأجم　　قال صل وخلاك ذم

السيد الذي لا رمح معه

قال أيدخل القصر في صلاة شاهد　　قال لا والغائب الشاهد

صلاة المغرب سميت بذلك لأن قاصيها عند طلوع النجم

قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان　　قال ما رخص فيه إلا للصبيان

المختون وهو أيضا المعذر

قال فهل للعريان أن يأكل فيه　　قال نعم بملء فيه

المسافر الذي ينزل من آخر الليل

قال فإن أفطر فيه العراة　　قال لا ينكر عليهم الولاة

الذي يأخذهم العروا وهي الحمى برعدة

قال

قال فإن أكل الصائم بعد ما أصبح　　هو قال هو أهوط له وأصلح

أي استصبح بالمصباح

قال فإن عمد لأن أكل ليلا　　قال ليتمم القضاء ذيلا

الأنثى من فراخ الحبارى

قال فإن أكل قبل أن تتوارى البيضا　　قال أفطر وعليه القضا

من أسماء الشمس

قال فإن استثار الصائم الكبير　　قال أفطر ومن أحل الصير

استقرعاه　　القى

قال فهل يفطر بالجاح الطايح　　قال نعم لا بطاهي المطايح

الحي الصالب

قال فإن ضحكت المرأة في صومها　　قال بطل صوم يومها

حاضت　ومنه قوله تعالى ضحكت فبشرناها بإسحق

قال فإن ظهر الجدري على ضرتها　　قال تفطر إن اذن بعصرتها

أصل الإبهام وأصل الثدي أيضا

قال فما يجب في مائة مصباح　　قال حقتان يا صاح

الناقة التي تصبح في المبرك

قال فإن ملك عشر خناجر　　قال يخرج شاتين ولا يشاجر

النوق الغزار واحدتها خنجر

قال فإن سمح للساعي بجميمته　　قال يا بشرى له يوم قيامته

خيار المال

جابي الصدقة

قال السخي حملة الأوزار من الزكوة جزا　　قال نعم إذا كانوا غزا

السلاح　　جمع غاز

قال أيدفع إلى العراة من كسوة الكفارات — قال نعم إذا كانوا من ذوي الهيئات

الذي يأخذ العرو وهي الحمى

قال أيجوز للحاج أن يعتمر — قال لا ولا أن يختمر

لبس العمامة — لبس الخمار

قال فهل له أن يقتل الشجاع — قال نعم كما يقتل السباع

الحية

قال فإن قتل زمارة في الحرم — قال عليه بدنة من النعم

النعامة واسم صوتها الزمار

قال فإن رمى ساق حر فجدله — قال يخرج شاة بدله

ذكر القماري

قال فإن قتل أم عوف بعد الإحرام — قال يتصدق بقبضة من طعام

الجرادة

قال أيجب على الحاج استصحاب القارب — قال نعم ليسوقهم إلى المشارب

طالب الماء بالليل

قال ما تقول في الحرام بعد السبت — قال قد حل في ذلك الوقت

المحرم — حلق الرأس

قال ما تقول في الكميت — قال حرام كبيع الميت

الخمر

قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل — قال لا ولا بلحم الحمل

ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان

قال أيحل بيع الهدية — قال لا ولا بيع السبية

ما يهدى إلى الكعبة

قال

قَالَ مَا تَقُولُ فِي بَيْعِ الْعَقِيقَةِ — قَالَ مَحْظُورٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ

ما يذبح عن المولود في اليوم السابع

قَالَ أَيَجُوزُ بَيْعُ الدَّاعِي عَلَى الرَّاعِي — قَالَ لَا وَلَا عَلَى السَّاعِي

بقية اللبن في الضرع — جابي الزكوة

قَالَ أَيُبَاعُ الصَّقْرُ بِالتَّمْرِ — قَالَ لَا وَلَا الْعِنَبُ بِالْخَمْرِ

الدبس

قَالَ أَيَشْتَرِي الْمُسْلِمُ سَلَبَ الْمُسْلِمَاتِ — قَالَ نَعَمْ وَيُورَثُ عَنْهُ إِذَا مَاتَ

لحا الشجر وهو ايضا خوص النخل

قَالَ فَهَلْ يَجُوزُ بَيْعُ الشَّافِعِ — قَالَ مَا لِجَوَازِهِ مِنْ دَافِعٍ

الشاة التي معها سخلها

قَالَ أَيُبَاعُ الْإِبْرِيقُ عَلَى بَنِي الْأَصْفَرِ — قَالَ يُكْرَهُ كَبَيْعِ الْمِغْفَرِ

السيف الصقيل — الروم

قَالَ أَيَجُوزُ أَنْ يَبِيعَ الرَّجُلُ صِيفِيَّهُ — قَالَ لَا وَلَكِنْ يَبِيعُ صَفِيَّهُ

الولد على الكبر — الناقة

قَالَ فَإِنِ اشْتَرَى عَبْدًا فَبَانَ بِأُمِّهِ جِرَاحٌ — قَالَ مَا فِي رَدِّهِ مِنْ جُنَاحٍ

مجتمع الدماغ

قَالَ أَتَثْبُتُ الشُّفْعَةُ لِلشَّرِيكِ فِي الصَّحْرَاءِ — قَالَ لَا وَلَا لِلشَّرِيكِ فِي الصَّفْرَاءِ

الأثاث الذي يمازج بايعها غيره

قَالَ أَيَحِلُّ أَنْ يُحْمَى مَاءُ الْبِيرِ وَالْخَلَا — قَالَ إِنْ كَانَ فِي الْفَلَا فَلَا

يمنع — الكلاء

قَالَ مَا تَقُولُ فِي مَيْتَةِ الْكَافِرِ — قَالَ حِلٌّ لِلْمُقِيمِ وَالْمُسَافِرِ

حيوان البحر — البحر

قال العجوز ان يعفى بالحول — قال هو اجدر بالقبول

جمع حايل

قال فهل يضحى بالطالق — قال نعم ويقرى منه الطارق

الناقة ترسل ترعى حيث شاء

قال فان ضحى قبل ظهور الغزالة — قال شاته لحم بلا اهالة

الشمس

قال العجوز ان يكوى ظهر المأموم — قال نعم ويستقصى على المظلوم

البعير الذي قد تاكل سنامه

قال ما يصنع بالعاتق اذا قلبها الفتيان — قال تتخذ صباغة على الخوان

الخمر — الليل والنهار

قال ايحل التكسب بالطرق — قال هو كالقمار بلا فرق

الضرب بالحصاة وهو من افعال الكهنة

قال ايسلم القايم على القاعد — قال لا اذا كان من الاباعد

التي قعدت عن الحيض وعن الازواج

قال اينام العاقل تحت الرقيع — قال احبب به في البقيع

السماء — وعنى بالبقيع بقيع المدينة

قال ايمنع الذمي من قتل العجوز — قال معارضته في العجوز لا تجوز

الخمر مزجها بالماء

قال العجوز ان يتنفل الرجل عن عمارة ابيه — قال ما جوز لخامل ولا نبيه

القبيلة

قال ما تقول في التهود — قال هو مفتاح التزهد

التوبة

قال

قال ما تقول في صَرِّ البلية — قال خطيئة واي خطيئة

حبس الناقة

قال فهل يجوز بيع المستشير — قال نعم وبيع السفير

الجمل — ما تساقط من ورق الشجر

قال يحل ضرب السفير — قال نعم والحمل على المستشير

[illegible]

قال ايعزر الرجل اباه — قال يفعله الكبير ولا يأباه

التعزير التعظيم والنصره

قال ما تقول فيمن افقر اخاه — قال حبذا ما توخاه

اعارة ناقة يركب فقارها

قال فان اعرى ولده — قال يا حسن ما اعتمده

اعراه اعطاه ثمر نخلة عاما

قال فان اصلى مملوكه النار — قال لا اثم عليه ولا عار

المملوك العجين الذي قد اجيد عجنه حتى قوي

قال فهل للمرأة ان تصرم بعلها — قال ما حظر احد فعلها

البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض

قال فهل تؤدب المرأة على الخجل — قال اجل

الخجل سوء احتمال الغنى

قال ما تقول فيمن نحت اثلة اخيه — قال اثم ولو اذن له فيه

نحت اثلته اذا اغتابه وقدح في عرضه

قال ايحجر الحاكم على صاحب الثور — قال نعم ليأمن غائلة الجور

الجنون

قال فهل له أن يضرب على يد اليتيم — قال نعم إلى أن يرشد ويستقيم

يقال ضرب على يده إذا حجر عليه

قال فهل يجوز أن يتخذ الرجل له ربضا — قال نعم إذا كان له رضى

الربض الزوجة

قال متى يجب نفقة الأب والجد — قال إذا أخذ رمح أبي سعد

العصا

قال فمتى يبيع بردة السفينة — قال إذا رأى له الحظ فيه

البردة الدرع القصيرة

قال أيحجر على مجنون وفر عقله — قال نعم إلى أن يثوب إليه عقله

العقل من الوشي ما كان نقشه طويلا

قال فهل يجوز أن يبتاع له حشا — قال نعم ولكن غير مغشا

النخل المجتمع

قال أيجوز أن يكون الحاكم ظالما — قال نعم إذا كان عالما

الظالم الذي يشرب اللبن قبل أن يروب

قال أيستقصى على من ليست له بصيرة — قال نعم إذا أحسنت منه السيرة

الترس

قال فإن تعرى من العقل — قال ذاك عنوان الفضل

ضرب من الوشي

قال فإن كان له زهو جبار — قال لا إنكار ولا إكبار

النخل الذي فات

الزهو البسر الملون

قال أيجوز أن يكون الشاهد مريبا — قال نعم إذا كان أريبا

المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب

قال فإن

قال فإن بات بانته لاطة   قال هو كما لو حاط

لاط الحوض اذا طينه

قال فإن عثر على أنه غربل   قال ترد شهادته ولا تقبل

اي قتل

قال فإن وضح أنه مأبون   قال هو وصف له زين

المأبون هاهنا الذي يعول ويكفي المؤونة

قال ما يجب على عابد الحق   قال يحلف بالله الخالق

الدين
الجاحد

قال ما تقول فيمن سرق أساود الدار   قال يقطع إن ساوت ربع دينار

الالات المستعملة

قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا   قال تفقأ عينه قولا واحدا

الرجل الخفيف

قال فإن جرح قطاة امرأة فماتت   قال النفس بالنفس إذا فاتت

ما بين الوركين

القت

قال فإن ألقت الحامل حشيشا من ضربه   قال يكفر بالإعتاق عن ذنبه

الجنين الملقى ميتا

قال ما يجب على المختفي في الشرع   قال القطع لإقامة الردع

نباش القبور

قال فإن سرق ثمينا من ذهب   قال لا قطع عليه كما لو غصب

الثمين الثمن كالنصف نصيف

قال فإن بات على المرأة السرق   قال لا حرج عليها ولا فرق

الحرير الابيض

قال أيعقد نكاح لم تشهده القوارير — قال لا والخالق الباري

الشهود

قال ما تقول في عروس بانت بليلة حرة — ثم عادت على حافرتها بسحرة

قال يجب لها نصف الصداق — ولا تلزمها عدة الطلاق

فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه الماتح وحبر لا يبلغ مدحه

المادح ثم أطرق إطراق الحيي وأرم إرمام العيي فقال له أبو زيد إيه يا فتى فالى

متى والحمى فقال الله لم يبق في كنانتي مرماة ولا بعد إشراق صبحك مماراة فبالذي

أي ابن أرض أنت فما أحسن ما أبنت فأنشد بلسان ذلق وصوت صهصلق

أنا في العالم مثله ولأهل العلم قبله — غير أني كل يوم بيت تعريس ورحله

والغريب الدار لو حل بطوبى لم تطب له — ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن اهتدى

وهدى فاجعلنا ممن يهتدي ويهدي فساق القوم إليه ذودا مع قينة وسألوه

أن يزودهم القينة بعد القينة فنهض يمتطي العود ويزجي الأمة والذود قال الحرث بن

ويقال أيضاً باتت العروس بليلة شيباء إذا غشيها زوجها
ورأيت بخط ابن الجوزي رحمه الله بيت في ذرعها وبانت بحجيع
طيبتها ولم الطبيب بطيب — بنصير وليلة شيباء
ومنع الذي من إعطاء — البحير هنا قطعة من دم

فام

مقامٍ فاعترضته وقلت له عهدي بك سفيهاً فمتى صرت فقيهاً فطفق يجول ثم انشأ يقول

لبست لكل زمانٍ لبوسا ... ولابست صرفيه نعمى وبوسا

وعاشرت كل جليسٍ بما ... يلائمه لأروق الجليسا

فعند الرواة أدير الكلام ... وبين الندامى أدير الكؤوسا

فطوراً بوعظي أسيل الدموع ... وطوراً بلهوي أسرّ النفوسا

وأقري المسامع إما نطقت ... كلاماً يقود الحرون الشموسا

وإن شئت أرعفت كفي اليراع ... فساقط درّاً يحلّي الطروسا

وكم مشكلاتٍ حكين السها ... خفاءً فصرن بكشفي شموسا

وكم ملحٍ لي خلبن العقول ... وأسأرن في كل قلبٍ رسيسا

وعذراء فهت بها فانثنى ... عليها الثنا طليقاً حبيسا

على انني من زماني خصصت ... بكيدٍ ولا كيد فرعون موسى

يُسعِّرُ لي كلَّ يومٍ وغًى — اطا منْ لظاها وطيسًا وطيسا

ويقرعني بالخطوبِ التي — تذيبُ القوى وتشيبُ الرؤوسا

ويدني اليَّ البعيدَ البغيضَ — ويبعدُ عنّي القريبَ الانيسا

ولولا خساسةُ اخلاقهِ — لما كان حظّي منهُ خسيسا

فقلتُ له خفِّض الاحزانَ ولا تذمّ الزمانَ واشكر منْ نقلكَ عنْ مذهبِ ابليسَ الى مذهبِ ابنِ ادريسَ فقال دعِ الهتارَ ولا تهتكِ الاستارَ وانهضْ بنا لنضربَ الى مسجدِ يثربَ فعسى انْ نرحضَ بالمزارِ درنَ الاوزارِ فقلتُ هيهاتَ انْ اسيرَ او افقهَ التفسيرَ فقال تالله لقدْ اوجبتَ ذممًا وطلبتَ اذْ طلبتَ اممًا فهاكَ ما يشفي النفسَ وينفي اللبسَ قال فلما اوضحَ لي المعمّى وكشفَ عنّي العمى شددْنا الاكوارَ وسرتُ وسارَ ولم ازلْ منْ مسامرتهِ مدّةَ مسايرتهِ فيما انساني طعمَ المشقّةِ ووددتُ معهُ بعدَ الشقّةِ حتّى اذا دخلنا مدينةَ الرسولِ وفزنا منَ الزيارةِ بالسؤلِ شامَ واعرقتُ وغرّبَ وشرّقتُ

المقامة الثالثة والثلثون التفليسية

اخبر الحرث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت الا اؤخر الصلاة ما
استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات اراعي اوقات الصلوات
واحاذر من مأثم الفوات واذا رافقت في رحلة او حللت بحلة مرحبت بصوت
الداعي اليها واقتديت بمن يحافظ عليها فاتفق حين دخلت تفليس ان صليت
مع عصبة مفاليس فلما قضينا الصلاة وازمعنا الانفلات برز شيخ بادي اللقوة
بالي الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية وتفوق درة العصبية
الا ما تكلف لي لبثة واستمع مني نفثة ثم له الخيار من بعد وبيده البذل والرد
فعقد القوم له الحبا وركدوا امثال الربى فلما آنس حسن انصاتهم ورزانة حصاتهم
قال يا اولي الابصار الرامقة والبصائر الرائقة اما يغني عن الخبر العيان وينبئ
عن النار الدخان شيب لائح وضعف فادح وداء واضح والباطن فاضح